Issn:2437-0967 مجلة اللغة الوظيفية المجلد8،العدد2 2021

سُنن التّأليف الصّوتي في اللسان العربي بين الجاحظ والكندي

The Sunnah of phonemic composition in the Arabic tongue between Al-Jahiz and Al-Kindi

نصيرة شيادي[*](1)

جامعة أبي بكر بلقايد، (تلمسان)

البريد الإلكتروني: Nacera83@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2021/07/ 27	تاريخ القبول:2021/12/18	تاريخ النشر:2021/12/28

الملخص:

لقد ذاع صيتُ الدّرس الصّوتي العربي، وبرز أعلام من مدارس شتى اهتمت به، واختلفت دوافع كل مدرسة للبحث في قضايا الدرس الصوتي؛ ولئن اختلفت دوافع كل مدرسة يبقى الهدف من الدراسات الصوتية عند العرب واحد وموحّد؛ ألا وهو المحافظة على اللفظة القرآنية من اللحن كما ارتضاها الخالق عز وجل أن تُنطق هذا من جهة، والمحافظة على فصاحة الكلمة العربية من جهة ثانية.

فلقد تفطّن العلماء العرب إلى سُنن التأليف الصوتي وما يعتري الصوت في حالة السياق والتركيب في وقت مبكر جدا من عمر الحضارة الإنسانية؛ فبعد أن أدرك العلماء العرب حقيقة الصوت مفردا اتّجهت دراستهم إلى دراسة ما يعتري الصوت أثناء التركيب فسنُّوا قواعد صوتية تخصّ التأليف الصوتي العربي، وبرز أعلام أغنوا الفكر الصوتي قديما وحديثا ومن هؤلاء: الجاحظ. من أعلام الموسوعات الأدبية . والكندي . من أعلام الفلاسفة المسلمين . اللذين برزا في القرن الثالث الهجري فتوصّلا رغم اختلاف طُرق المعالجة لكلّ ما من شأنه أن يحقّق سلامة الكلمة العربية من المتنافرات، وكلّ ما من شأنه أن يُحقق الانسجام والتوافق الصوتي والفصاحة على حد سواء.

ونحن في هذه المقالة سنعرض لطريقة كلّ من الجاحظ والكندي في عرض قوانين التأليف الصوتي لنقف عند حدود الاتفاق والاختلاف بينهما هذا من جهة ومن جهة أخرى نستنبط سُنن التأليف الصوتي التي توصل إليها كل منهما والتي من شأنها أن تُحافظ على المفردة العربية الفصيحة.

* المؤلف المرسل

الكلمات المفتاحية: التأليف الصوتي؛ الصوت؛ الانسجام؛ الاقتران؛ التركيب.

Abstract:
The Arabic audio lesson has become famous, and figures from various schools have taken an interest in it, and the motives of each school differed in researching the issues of the audio lesson; Although the motives of each school differ, the goal of phonetic studies among Arabs remains one and unified. That is, to preserve the Qur'anic word of melody as the Creator, the Mighty and Sublime, desired it to be pronounced on the one hand, and to preserve the eloquence of the Arabic word on the other.
Arab scholars have discovered the traditions of sound composition and what happens to the sound in the case of context and composition at a very early age in the life of human civilization; After the Arab scholars realized the reality of the sound alone, their studies turned to studying what goes wrong with the sound during installation, so they enact phonetic rules related to Arabic phonetic composition. They emerged in the third century AH, and they reached, despite the different methods of treatment, everything that would achieve the integrity of the Arabic word from the discordant, and everything that would achieve harmony, .phonetic compatibility and eloquence alike
In this article, we will present the method of both Al-Jahiz and Al-Kindi in presenting the laws of sound composition, in order to stop at the limits of agreement and the difference between them, on the one hand, and on the other hand, we derive the rules of sound composition that each of them reached, which would preserve the standard Arabic vocabulary.
Keywords: Audio composition; the sound; harmony; conjugation; installation.

مقدمة:

إنّ وصفَ الأصوات اللّغوية يعملُ على تحديد مخارجها وصفاتها بدقّة ذلك جيّد وممتاز ولكنّه غير كافٍ؛ لأنّ اللغويّ يُريد أن يكتشفَ العلاقات التي تربطها ببعضها البعض داخل النظام اللغوي، وأن يُحدّد منزلتها من هذا النّظام والوظيفة التي يُؤدّيها عند التبليغ وهذا هو موضوع جزء هام من الدراسات الصّوتية يُعرفُ بالصّوتيات الوظيفية التي تعتمدُ في ذلك على الحقائق التي توصّل أو تتوصّل إليها الأقسام الأخرى من الدراسة الصّوتية الفيزيائية والفيزيولوجية.[1]

فالمقابلة بين المجهور والمهموس ثم المفخّم والمرقّق ثم الصّحيح والعلة ثم الـشّديد والرخـو، والمركب، والمتوسط، ثم بين طويل وقصير، وبين مخرج ومخرج آخر، و بين النبر و عدمه في كلّ أولئك وما يتّصل به من فهم دلالةِ كلّ مقابل من هذه المقابلات هو الأساس الذي يُبنى عليه علم التشكيل الصوتي،[2] أو علم الأصوات الوظيفي الذي يُعنى بالدراسة الصّوتية للصّوت في علاقاته بما يجاوره من الأصوات ومدى تفاعله وعلاقاته التي لا تنظر للصوت على أنه صوت مجرد بل هو مجموعة مع غيره من الأصوات.[3]

فالأصوات اللغوية ليست عناصر متناثرة إنّما هي نظام منسّق تحكمه علاقات خاصّة بهذه اللغة أو تلك؛ فمعلوم أنّ الكلام الإنساني عبارة عن سلاسل صوتية يتّصل بعضها ببعض اتّصالا وثيقا فنحن لا نتكلم أصواتا مفردة وإنّما كلمات وجمل وفقرات، وليس كلّ صوت صالحا لأن يُجاور أيّ صوت في السّلسلة الكلامية؛ فمخرج الصّوت وصفاته هي التي تُحدّد وُرودَ صوت بعينه في موقع بعينه أو عدم وُرودِهِ؛ ذلك أنّ أعضاء النّطق لا تنطقُ كلّ صوت مستقلاّ بمفرده وإنّما يتأثّر نُطق الصّوت الواحد بالأصوات السّابقة عليه واللاّحقة له؛ ولهذا تحرصُ اللغات عامة على أن يكون هناك انسجام تام بين الأصوات داخل الكلمات حتّى تؤمن قدرا أعلى من السّهولة في النطق، وحدّا أعلى من الوضوح في السّمع.[4]

والأصوات تخضع لقواعد معيّنة في تجاورها وارتباطاتها ومواقعها وكونها في هذا الحرف أو ذاك،ثمّ دراسة الظواهر التي لا ترتبط بالأصوات (الصّوامت والمصوّتات) من حيث هي؛ بل بالمجموعة الكلامية بصفة عامة كالنبر والتنغيم ودراسة الأصوات من هذه النّواحي الأخيرة دراسة لسلوكها في مواقعها أكثر ممّا هي دراسة للأصوات نفسها وتلك هي دراسة التشكيل الصّوتي.[5]

إنّ تفاعل الأصوات وتأثيرُ بعضها في بعضٍ لم يكن مُصادفةً ولا هباءً ولا غفلة في النظام اللغوي؛ وإنما كان لضربٍ من التيسير؛ فأثناء نُطق الأصوات اللغوية يميلُ المتحدثون إلى تحقيق أكبر الأثر بأقلّ جُهدٍ ممكنٍ وهذا هو السبب الذي من أجله يُحاول المتحدث أثناء ربطِ الأصوات بعضها ببعضٍ أن يتجنَّبَ الحركات النطقية التي يُمكنُ الاستغناء عنها كلّية خاضعٌ في ذلك لجملةٍ من القوانين الصوتية[6] ولعلّ أهمّها المماثلة بأضربها وأشكالها المتنوعة تُعدّ إحدى الرّكائز التي تستنجدُ بها العربية لتفادي كلّ تنافرٍ أو تباعدٍ يُصيبُ أصواتها في تواصلها.

ولقد عُني العلماء العرب القدامى من أمثال الجاحظ (ت 255م) والكندي (ت 256م) بمثل هذه المسائل الخاصة بحُسن التأليف الصوتي وتحقيق الانسجام وإن اختلفت طرق المعالجة، والمصطلحات الدالة على ذلك، ولكن ومما لا شكّ فيه أنّ كلاّ منهما سنّ قوانين تخصّ التأليف الصوتي العربي، وتحافظ على سلامة وفصاحة اللفظة العربية.

1 . ماهية التأليف الصوتي:

يدلُّ أصله اللغوي على انضمامِ الشّيءِ إلى الشيء؛ ألِفتُ الشَّيء آلَفُهُ والأُلفةُ مصدر الائتلافِ وكلُّ شيءٍ ضَمَمْتَ بعضهُ إلى بعضٍ فقد ألّفته تأليفا.[7]

وإلى هذا المعنى اهتدى النحاة واللغويون حيث نجدُ مصطلح التأليف شائعا في الموروث النحوي واللغوي؛ فالخليل (ت 175م) استعمل مصطلح (تأتلف) في معرض تنبيهه إلى ما يجوزُ تأليفه من الحروف وما لا يجوز في لغة العرب.[8]

وعرّف أبو الحسن الأخفش (ت 215ه) الكلام بأنه " أصوات مؤلفة "[9] واستعمل الجاحظ مصطلح التأليف عندما عرّف الصّوت قائلا : " لن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ومنثورا إلاّ بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاما إلاّ بالتقطيع والتأليف."[10]

وذكر ابن جني (ت 392م) مصطلح التأليف في مواضع عدّة من كتابه (سر صناعة الإعراب) وانتهى إلى أنّ تأليف الحروف على ثلاثة أضرب: أحدها تأليف المتباعدة، وهو الأحسن. والآخر تضعيف الحرف نفسه، وهو يلي القسم الأول في الحسن. والآخر تأليف المتجاورة، وهو دون الاثنين الأولين فإما رُفض البتة، وإما قلّ استعماله.[11]

ويقسّم الرماني (ت 386م) التأليف إلى ثلاثة أوجه: متنافر ومتلائم في الطبقة الوسطى ومتلائم في الطبقة العليا قاصدا بهذا الأخير القرآن الكريم كله[12] يقول:" والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف فكلما كان أعدل كان أشدّ تلاؤما."[13]

واستعار ابن سنان الخفاجي (ت 466م) من أستاذه ابن جني أوصاف اللفظة الفصيحة، فذكر أنّ أول الأوصاف وأهمها تباعد مخارج الحروف، ويحلل ذلك تحليلا واضحا مع بيان علّته في الفصاحة:" بأن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج وعلّة هذا واضحة وهي أنّ الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، ولا شكّ في أنّ الألوان المتباينة إذا جُمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصّفرة لقرب ما بينه وبين الأصفر وبُعد ما بينه وبين الأسود وإذا كان هذا موجودا على هذه الصفة لا يحسن النزاع فيه كانت العلة في حسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة هي العلة في حسن النقوش إذا مزجت من الألوان المتباعدة كثير. فأما تأليف الحروف المتقاربة فمثل (الهعخع) ولحروف الحلق مزية في القبح إذا كان التأليف منها فقط وأنت تُدرك هذا وتستقبحه كما يقبح عندك بعض الأمزجة من الألوان وبعض النغم من الأصوات."[14]

وشاع مصطلح التّأليف في الموروث الفلسفي فلقّب إخوان الصّفا (القرن الرابع الهجري) حروف المعجم بالحروف المؤلفة[15] كما عرّفوا الحروف بقولهم إنها " أصوات مفردة إذا أُلّفت صارت ألفاظا"[16] واستعملوا مصطلح (ائتلاف الأصوات) وذكروا بأنه الجمع بين الأصوات الحادة والغليظة بنسبة تأليفية.[17]

واستعمل الفلاسفة المسلمون مصطلح التّأليف للدلالة على التأليف بين الأصوات الموسيقية في الحدة والثقل أي النغمات التوافقية؛ فمفهوم الموسيقيين للتّأليف بين الأصوات" أن تكون الألحان ممّا تستلذّه المسامع وتستريح له النفوس؛ وذلك إذا كانت بين النغم نِسب رياضية بسيطة تُعبرُ عن تردّداتها أو أطوالُ الأوتار المحدثة لها بأعدادِ المتوالية العددية: اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة أو ما شابهها."[18]

وذكر الكندي نحوا من ذلك فقال: " وإذْ يُكملُ صناعة التأليف الصوتي أن تكون مسموعات الأصوات مؤتلفة مُستحسنة في السّمع مُستأثرة ولا مُستكرهةً فإذن ينبغي أن تكون جميعُ هذه الحالات التي وصفنا . مؤتلفة. أعني أن ننتقل من نغمةٍ إلى نغمةٍ متآلفةٍ لها أعني معها في نسبةٍ بسيطةٍ."[19]

2 . سُنن التأليف الصوتي عند الجاحظ:

استعمل الجاحظ مصطلح التأليف عندما عرّف الصّوت قائلا: " لن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ومنثورا إلاّ بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلاّ بالتقطيع والتأليف."[20]

والتأليف الصّوتي عند الجاحظ مرتبط بفصاحة الكلمة وبنية اللفظ الصوتية، وانسجام الحروف المركبة له وتآلفها؛ ذلك أنّ الفصاحة في الكلام هي خلوصه من ضعف التأليف، ويحصل هذا الخلوص بكون الكلام جاريا على القانون المشهور، وخلوصه من تنافر الكلمات وذلك بأن لا يثقُلَ على السمع؛ فالفصاحة تورث الكلام حسنا إذ يسهل على اللسان النطق به لتآلفه.[21]

وقد ورد في البيان والتبيين نصّ يُحوصلُ فيه الجاحظ صفات اللفظ من جهة تآلف الحروف وبنيته الصّوتية، وقد سلك في ذلك مسلك تآلف الحروف وإبراز الصّفة ونقيضها انطلاقا من موازنة عقدها بين خصائص أجزاء البيت من الشعر، وخصائص ما سمّاه بحروف الكلام؛ يقول:" وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر، تراها متفقة مُلسا، وليّنة المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشقّ على اللسان وتكُدُّه. والأخرى تراها سهلة لينة، ورطبة متواتية، سلسة النّظام، خفيفة على اللسان؛ حتى كأنّ البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد."[22]

وفي التفاتةٍ واضحة المعالم ينصّ الجاحظ على تجنب الجمع بين الحروف المتنافرة من جهة المخرج أو الصفات، فيستعمل مصطلح الاقتران للدلالة على حسن التأليف، وأنّ الفصاحة تنطلق من بنية اللفظ الصوتية وانسجام الحروف المركبة له وتآلفها، وقد بلور هذا المقياس الهام في مصطلح يبدو ثابتا واضح المعالم في أصول نظريته الأدبية هو الاقتران،[23] وهو في تفسيره التشابه والموافقة[24] ولئن كان هذا التفسير غير دقيق في دلالته على أوجه الشبه والموافقة بين الحروف لخلوّه من كل تحليل منطقي لكيفية تعامل الأصوات فإنّ الأمثلة التي أوردها للاستدلال على كِبر هذا الباب على ما يقول دليلا على أنّ المقصود تجنب الجمع بين الحروف المتنافرة من حيث المخرج أو الصفة.[25] فقد ذكر أنّ الجيم لا تقارن الظاء، ولا

القاف، ولا الطاء، ولا الغين بتقديم ولا تأخير، والزاي لا تقارن الظاء، ولا السين، ولا الضاد، ولا الذال بتقديم ولا تأخير.[26]

إنّ الجاحظ هاهنا لم يتعرّض إلاّ لحرفين وهما (الجيم، والزاي)، وعدم تعرّضه لسائر الحروف لم يكن عن جهل بها؛ وإنما من باب الاختصار، فقد قال:" وهذا باب كبير وقد يُكتفى بذكر القليل حتى يُستدلّ به على الغاية التي إليها يُجرى."[27]

وإذا نظرنا إلى الحرفين السّابقين نجدُ أنّ (الجيم) لا تجتمعُ مع الظاء، والقاف، والطاء، والغين، في الكلمة الواحدة سواء جاءت هذه الحروف قبلها أم جاءت بعدها، وهذا هو المراد بقوله (بتقديم أو بتأخير) وكذلك بالنسبة لحرف (الزاي)، فقد ذكر الجاحظ أنها لا تجتمع مع الظاء أو السين أو الضاد أو الذال في الكلمة الواحدة سواء أتت هذه الحروف قبل (الزاي) أو أتت بعدها.

ولا بدّ من التنويه إلى أنّ هناك دراسات حديثة قام بها بعض العلماء المحدثين أيّدت بعض ما ذكره الجاحظ، وهذه الدراسات هي عبارة عن إحصائيات لجذور بعض المعاجم اللغوية كالصحاح للجوهري (ت 393هـ) الذي ينصّ على أنّ " حرف الجيم لا تتبعه الأحرف (ت . ض . ط . غ . ق . ك) ولا تسبقه (ص . ظ . غ . ق . ك)؛ أي أنه لا يشترك تتابعا مع أيّ من الأحرف (غ . ق . ك). ومن المعروف عن القدماء أنهم قالوا: إنّ حرفي (ج ، ق) لا يشتركان في أيّ كلمة من أصل عربي، ويتّضح الآن أنهما لا يتتابعان في أيّ كلمة (مع العلم بأنّ الكلمة الثلاثية الوحيدة التي يشتركان فيها هي (قبج) وهي من أصل فارسي)، كما يتّضح أنّ حرف (ك) له نفس الظاهرة؛ وذلك لأنّ نطق (ك) قريب من نطق (ق).[28]"

وقالوا أيضا: " حرف (ز) لا تتبعه الأحرف (ت . ذ . س . ش . ص . ض . ظ) ولا تسبقه الأحرف (ت . د . ذ . س . ص . ط . ظ)؛أي أنّ (ز) لا يشترك تتابعا مع (ت . ذ . س . ص . ظ) ونلاحظ هنا أنّ (ز) هو صوت مجهور نظيره المهوس هو (س)، كما أنّ (ز) قريب في النطق من حرف (ذ). وأيضا حرف (ذ) هو صوت مجهور ونظيره المهموس هو (ث) وحرف (ظ) قريب في النطق من (ز)، وحرف (ص) قريب في النطق من (س)"[29]

ومن الملاحظ أنّ هناك حروفا أخرى متنافرة ذكرتها الإحصاءات الحديثة ولم ترد عند الجاحظ، والسبب في ذلك يعود إلى أنّ عمل الجاحظ كان ملاحظات جزئية تتعلق بتتابع عدّة أصوات معينة من بين أصوات الأبجدية يُحسبُ له صدقُها،وخلاصة الأمر هو بيان صدق الجاحظ في بعض ما قرره من ملاحظات هامة ودقيقة.

3 . سُنن التأليف الصوتي عند الكندي:

استعمل الكندي مصطلح التّأليف للدلالة على التأليف بين الأصوات الموسيقية في الحدة والثقل أي النغمات التوافقية؛ يقول: " وإذْ يُكملُ صناعة التأليف الصوتي أن تكون مسموعات الأصوات مؤتلفة مُستحسنة في السّمع مُستأثرة ولا مُستكرهةً فإذن ينبغي أن تكون جميعُ هذه الحالات . التي وصفنا . مؤتلفة؛أعني أن ننتقل من نغمةٍ إلى نغمةٍ متآلفةٍ لها أعني معها في نسبةٍ بسيطةٍ."[30]

كما واستعمل الكندي التأليف في شرحه لما يكون بين الحرفين بسبب قُربِ المخرج أو بسبب الاشتراك في بعض الصّفات، فسنّ القوانين الرئيسة التي يُنطلقُ منها لتحديد ما يُقترنُ من الحروف وما لا يُقترنُ من الحروف وهذا يدلّ على تنبّه الكندي المبكّر إلى الظّواهر والقوانين اللسانية وحُسنِ الاستفادةِ منها؛ ذلك لأنه يبحثُ في نسجِ الكلمةِ وما يُمكنُ أن تُبنى منه وما لا يُمكن ممّا ينضوي تحت علم قوانين الألفاظ المفردة الذي وصفه أبو نصر الفارابي (ت 339م) في كتابه إحصاء العلوم بقوله: "وعلم قوانين الألفاظ المفردة يفحصُ أولا في الحروف المعجمة عن عددها ومن أين خرج كلّ واحدٍ منها في آلات التصويت وعن المصوّت منها وغير المصوت وعمّا يتركّب منها في ذلك اللسان وعمّا لا يتركب وعن أقلّ ما يتركّب منها حتى حدث عنها لفظة دالة وعن أكثر ما يتركب وعن الحروف الذاتية التي لا تتبدّل في بنية اللفظ عند لواحق الألفاظ من تثنية وجمع وتذكير وتأنيث واشتقاق وغير ذلك."[31]

فالفائدة من حُسنِ التأليف أو التلاؤم هو حسنُ الكلام في السّمع وسهولته في اللفظ وتقبّل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصوت وطريقة الدلالة.[32]

وتتلخّصُ القواعد الأساسية لتحديد ما يُقترن ويُؤتلف من الحروف و ما لا يُقترن ويُؤتلف بتقسيم الكندي حروف العربية إلى أصلية ومتغيرة يقول :" إنّ الحروف التي يعرض لها أن لا تقترن هي الحروف الأصلية* . فإنّ بعضها يعرض له ألاّ يقارن بعضها بعضا بالتقديم والتأخير وتقديم فقط أو تأخير فقط . وأما الحروف المتغيرة . أعني التي يعرض لها أن تكون تارة أصلية وتارة زوائد* فليس بمُمتنعٍ من مقارنةِ كلّ الحروف بالتقديم والتأخير، وتقديم فقط أو تأخير فقط."[33]

فالحروف الأصلية أبدا التي لا تتغير البتة فتكون زوائد بوجه من الوجوه وهي ستة عشر حرفا وهي: الثاء . الجيم . الحاء . الخاء . الدال . الذال . الراء . الزاي . الشين . الصاد . الضاد . الطاء . الظاء . العين . الغين . القاف.[34] وأما المتغيرة فهي التي تكون زوائد تارة وأصلية تارة، وهي اثنا عشر حرفا وهي : الألف الباء . التاء . السين . الفاء . الكاف . اللام . الميم . النون . الهاء . الواو . الياء.*[35]

بعد هذه القواعد الأساسية يشرعُ الكندي في ذكر قوانين امتناع اقترانِ الحروف العربية حيث يستعرضها حرفا حرفا، ويذكر مع كلّ حرفٍ مالا يقترنُ معه من الحروف، ويضعُ كلّ ذلك في جداول على طريقته في التوثيق وحُسنِ الإفهامِ . وسنأتي على ذكر حالات التنافر في موضع لاحقٍ من هذا المقال . حتى إذا

فرغَ ممّا يمتنعُ اقترانهُ ذكرَ ما يُقترنُ من الحروف ليكون القول بيّنا، فيقول الكندي أنّ المتغيّرة يعرضُ لها أن تُقارنَ كلّ الحروف على التقديم والتأخير إلاّ السيّن* فإنها لا تقارن الثاء ولا الذال ولا الصاد ولا الضاد ولا الظاء بتقديم ولا تأخير [36] أمّا الحروف الأصلية فسنعرضُ لما تقترنُ معه وفقا للجدول التالي :

جدول يُمثل ما يُقترنُ من الحروف عند الكندي[37]

الحرف	الرمز	ما يأتلف معه
الثاء	↔	الألف . الباء . التاء . الجيم . الحاء . الخاء . الدال . الراء . العين . الغين . الفاء . القاف الكاف . اللام . الميم . النون . الهاء . الواو . الياء.
الشين	←	الثاء
الجيم	←	الألف . الباء . التاء . الثاء . الحاء . الخاء . الدال . الذال . الراء . الزاي . القاف . السين . الشين . الضاد . العين . الفاء . الكاف . اللام . الميم . النون . الهاء . الواو . الياء . الصاد.
الراء	↔	الألف . الباء . التاء . الثاء . الجيم . الحاء . الخاء . الدال . الذال . الزاي . السين . الشين . الصاد . الضاد . الطاء . العين . الغين . الفاء . القاف . الكاف . اللام . الميم . النون . الهاء . الواو . الياء .
الزاي	↔	الألف . الباء . التاء . الجيم . الحاء . الخاء . الدال . الراء . العين . الغين . الفاء . القاف . الكاف . اللام . الميم . النون . الهاء . الواو . الياء.
الزاي	→	الشين . الضاد.
الزاي	←	الطاء
الشين	↔	الألف . الباء . التاء . الجيم . الحاء . الخاء . الدال . الراء . الطاء . العين . الغين . الفاء . القاف . الكاف . اللام . الميم . النون . الهاء . الواو . الياء.
الشين	←	الثاء . الذال . الزاي . السين . الصاد . الظاء.
الصاد	↔	الألف . الباء . التاء . الحاء . الخاء . الراء . العين . الغين . الفاء . القاف . الكاف . اللام . الميم . النون . الهاء . الواو . الياء.
الصاد	→	الجيم . الشين.

وقد بلغَ مجموع حالات التنافر بين الحروف وعدم التآلف (أو ما لا يُقترن) التي أتى الكندي على ذكرها أربعا وتسعينَ (94) وهو عدد لا يُستهانُ به في تلك الفترة المبكرة من تاريخ دراستنا اللغوية، ولا نعلمُ أحدًا من علماء العربية سبقه إلى ذلك،[38] والجدول التالي يُمثل ما لا يُقترن من الحروف عند الكندي.

جدول يمثل ما لا يقترن من الحروف عند الكندي[39]

الحرف	الرمز	ما لا يأتلف معه
السين	↔	الثاء . الذال . الصاد . الضاد . الظاء
الثاء	↔	الذال . الزاي . الصاد . الضاد . الظاء . السين
الثاء	←	الشين
الذال	↔	الثاء . الزاي . الصاد . الضاد . الطاء . الظاء . السين
الذال	←	الشين . الغين
الزاي	↔	الثاء . الصاد . الظاء . السين . الذال
الزاي	←	الشين . الضاد
الزاي	→	الطاء
الصاد	↔	الضاد . الطاء . الظاء . الثاء . الذال . الزاي . السين
الصاد	←	الجيم . الشين
الصاد	→	الدال
الضاد	↔	الطاء . الظاء . الشين . الثاء . الذال . الصاد . السين
الضاد	→	الدال . الزاي
الظاء	↔	الطاء . الجيم . الذال . الثاء . الزاي . الصاد . الضاد . الدال . السين
الظاء	←	الحاء . القاف . الشين . الخاء
الجيم	→	الصاد
الجيم	↔	الطاء . الغين . القاف . الظاء.
الحاء	↔	الخاء . العين . الغين
الحاء	→	الظاء
الخاء	↔	الغين . الحاء
الخاء	→	العين . الظاء
الدال	←	الزاي . الطاء . الصاد . الضاد
الشين	↔	الضاد
الشين	→	السين . الزاي . الصاد . الثاء . الذال . الظاء

العين	↔	الغين . الحاء
الغين	↔	الحاء . الخاء . العين . الجيم
الضاد	←	القاف
الطاء	↔	الصاد . الضاد . الذال . الظاء . الجيم
الطاء	←	الزاي
الطاء	→	الدال
العين	←	الخاء
الغين	→	القاف . الذال
القاف	↔	الجيم
القاف	←	الغين
القاف	→	الضاد .
الراء		تتصل بجميع الحروف بالتقديم و التأخير و لا يعرض لها ما يعرض لغيرها من الحروف الأصلية التي لا تتغير أبدا.*

بعد الاطّلاع على سُنن التأليف الصّوتي عند الجاحظ والكندي تبيّن أنّهما اتّفقا حول صوت الجيم الذي لا يُقترن بالظاء (ظ) أو القاف (ق) أو الطاء (ط) أو الغين (غ) بتقديم ولا تأخير في حين ظهر الاختلاف بينهما حول صوت الزاي الذي نصّ الجاحظ على أنه لا يقترن بالظاء (ظ) أو السين (س) أو الضاد (ض) أو الذال (ذ) بتقديم ولا تأخير في حين نصّ الكندي أنّ الزاي لا تقترن بالثاء (ث) أو الصاد (ص) أو الظاء (ظ) أو السين (س) أو الذال (ذ) بتقديم ولا تأخير؛ فالاختلاف بينهما حول أصوات: الضاد (ض) و الثاء (ث) والصاد (ص)؛ فلقد أضاف الكندي صوتي الثاء (ث) والصاد (ص) لحالات عدم اقتران الزاي بالتقديم والتأخير، وعدّ صوت الضاد (ض) مما لا يمكن اقترانه بالزاي في حالة تقدّم الصوت الأول (الزاي) على (الضاد).

ومهما يكن من أمر فمجال الاتفاق بينهما أكبر من مجال الاختلاف؛ وهذا وإن دلّ على شيء فإنما يدلّ على الحسّ الصوتي المرهف الذي تميّز به كل منهما، والذي جعلهما يدركان كل ما من شأنه أن يحفظ الكلمة العربية من الغرابة والاستهجان، ويحافظ على سلامتها وفصاحتها.

خاتمة البحث:

استنادا لكلّ ما تقدّم نقول إنّ العلماء العرب القدامى ولجُوا إلى البُنى الباطنة العميقة، واستظهروا أداءها التبليغي والجمالي؛ وذلك بوقوفهم على حقيقة التأليف الصوتي وسُننه، ولذلك نقول إنّ الحديث عن سُنن

التأليف الصوتي في اللسان العربي في التراث العربي أصبح أمرا ضروريا نظرا لتميّز دراستهم وسبقهم إلى الكثير من الأفكار النورانية هذا من جهة ومن جهة أخرى إظهار المصطلحات التي تبنوها للدلالة على ظاهرة التأليف الصوتي؛ إذ لو يُوجّه الباحثون العرب اليوم في حقل الصوتيات الوظيفية عنايتهم إلى المصطلحات التراثية لأغنتهم عن كثير من المقابلات الأجنبية.

الهوامش:

1 . خولة طالب الإبراهيمي،2000م، مبادئ في اللسانيات، الجزائر، دار القصبة للنشر، ط 2، ص 72

2 . تمام حسان،1407 ه ، 1986م، مناهج البحث في اللغة، المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دط، ص 140

3 . نادية رمضان النجار، دت، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين،، مراجعة وتقديم: عبده الراجحي، الاسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ص 72

4 . فوزي حسن الشايب،1425ه، 2004م، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط1، ص 15

5 . ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 139

6 . بارتيل مالبرج، دت، علم الأصوات، دراسة وتعريب: عبد الصبور شاهين، المنيرة، مصر، مكتبة الشباب، دط، ص 111، وينظر: أحمد الطيبي،1431 ه، 2010 م، الاقتصاد المورفونولوجي في التواصل اللساني، إربد، لبنان، عالم الكتب الحديث، ط 1، ص 41

7 . أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،1399ه، 1979 م، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،مادة (أ ل ف) 1 / 131

8 . الخليل بن أحمد الفراهيدي،1424ه، 2003 م، كتاب العين، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، لبنان، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1 / 43

9 . أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، 1405 ه، 1985 م، العروض، تحقيق: أحمد محمد عبد الدايم عبد الله، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، ص 123

10 . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،1418ه، 1998 م، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط7، 1/ 79

11 . أبو الفتح عثمان بن جني،1405ه، 1985م، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دمشق، دار القلم للطباعة والنشر، ط1، 2/ 816

12 . الرماني،1976م، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، مصر، دار المعارف، ط3، ص 94 . 95

13 . المصدر نفسه: ص 96

14 . ابن سنان الخفاجي: 1932م، سر الفصاحة، تحقيق: علي فودة، القاهرة، ط1، ص 64

15 . رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء: 1992 م، تقديم: عليوش عبود، الجزائر، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، دط، 3 / 290

16 . رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء 2 / 15

17 . المصدر نفسه: 1 / 260 و3 / 323

18 . أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكنديّ،1969 م، في خبر صناعة التأليف، تحقيق: يوسف شوقي، القاهرة، دار الكتب، دط، ص 67

19 . المصدر نفسه: ص 101

20 . الجاحظ: البيان والتبيين، 1/ 79

21 . محمد علي زكي صباغ: 1418ه، 1998م، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين، إشراف ومراجعة: ياسين الأيوبي، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، ص 138 . 139

22 . الجاحظ: البيان والتبيين 67/1

23 . صمود حمادي،1981م، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره حتى القرن السادس الهجري، مطبوعات الجامعة التونسية، دط، ص 266

24 . الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 206

25 . صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره حتى القرن السادس الهجري، ص 266

26 . الجاحظ، البيان والتبيين، 1 / 69

27 . المصدر نفسه: 1 / 69

28 . ينظر: علي حلمي موسى، 1973م، إحصائيات جذور معجم الصحاح (باستخدام الكمبيوتر)، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، ص 30

29 . المرجع نفسه: ص 31

30 . الكندي، في خبر صناعة التأليف، ص 101

31 . أبو نصر الفارابي،1996 م، إحصاء العلوم، قدم له وشرحه وبوبه: علي بوملحم، بيروت، لبنان، دار ومكتبة الهلال، ط 1، ص 20

32 . فخري محمد صلح،1994 م، اللغة العربية آداء ونطقا وإملاء وكتابة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط 2، ص 99

* يعني الكندي بالأصلية: ما كان من الاسم أو من بنية الكلمة. ينظر: الكندي،1407ه، 1987 م، رسالة في استخراج المعمى ضمن كتاب علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب دراسة وتحقيق لرسائل

الكندي وابن عدلان وابن الدريهم، محمد مراياتي، ويحيى مير علم، ومحمد حسان الطيان تقديم: شاكر الفحام، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ص 238

* يعني الكندي بالزوائد: ما لحق الاسم بتصريفه في الأزمان أو الأعداد أو التذكير أو التأنيث أو الإضافة أو التشبيه أو العلة أو النسق. ينظر: الكندي، رسالة في استخراج المعمى، ص 239

33 . الكندي، رسالة في استخراج المعمى، ص 238

34 . الكندي، رسالة في استخراج المعمى: ص 239 . 240

* تشتمل هذه الحروف على حروف الزيادة المعروفة (سألتمونيها) بالإضافة إلى الكاف والباء والفاء، وهي التي عناها الكندي بقوله: (أو التشبيه أو العلة أو النسق) فهذه المعاني الثلاثة الأخيرة يعبر عنها بالأحرف الثلاثة التي أضافها الكندي على حروف الزيادة المعروفة. فالكاف للتشبيه والباء للعلة والفاء للنسق. والجدير بالذكر أنّ الكندي يعدّ الهمزة والألف حرفا واحدا وعليه فالزوائد تسعة أحرف تضاف إليها هذه الثلاثة فتغدو اثني عشر حرفا وهي مجموع الحروف المتغيرة. ينظر: محمد مراياتي ويحيى مير علم ومحمد حسان الطيان، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، ص 133 ، 240

35 . الكندي، رسالة في استخراج المعمى، ص 240

* استثناء الكندي للسين غير دقيق لأنّ الكاف وهي من المتغيرة لا تقارن القاف ولا الجيم بإجماع أئمة اللغة وكذلك الهاء لا تقارن بقية حروف الحلق ومثلها الهمزة. ينظر: محمد مراياتي ويحيى مير علم ومحمد حسان الطيان، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، ص 241

36 . الكندي، رسالة في استخراج المعمى، ص 240

37 . نفسه، ص 252 . 254

* ↔ رمز مستعمل للدلالة على التقديم والتأخير.

* ← رمز مستعمل للدلالة على تقدم الصوت الأول.

* →رمز مستعمل للدلالة على تقدم الصوت الثاني.

38 . محمد مراياتي ويحيى مير علم ومحمد حسان الطيان، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، ص 133

39 . الكندي، رسالة في استخراج المعمى، ص 241 . 252

* هذا الحكم يخالف ما جاء في المعاجم من أن النون لا تتقدم الراء. ينظر: محمد مراياتي ويحيى مير علم ومحمد حسان الطيان، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، ص 248